

التحرير والتنوير

والاكتساب : السعي للكسب وقد يستعار لحصول الشيء ولو بدون سعي وعلاج . و (من)
للتبعية أو للابتداء والمعنى يحتمل أن يكون استحق الرجال والنساء كل حظه من الأجر
والثواب المنجز له من عمله فلا فائدة في تمني فريق أن يعمل عمل فريق آخر لأن الثواب غير
منحصر في عمل معين فإن وسائل الثواب كثيرة فلا يسوءكم النهي عن تمني ما فضل الله به بعضكم
على بعض . ويحتمل أن المعنى : استحق كل شخص سواء كان رجلا أم امرأة حظه من منافع الدنيا
المنجز له مما سعى إليه بجهده أو الذي هو بعض ما سعى إليه فتمنى أحد شيئا لم يسع إليه
ولم يكن من حقوقه وهو تمن غير عادل فحق النهي عنه أو المعنى استحق أولئك نصيبهم مما
كسبوا أي مما شرع لهم من الميراث ونحوه فلا يحسد أحدا على ما جعل له من الحق لأن الله أعلم
بأحقية بعضكم على بعض .

وقوله (واسألوا الله فضله) إن كان عطفا على قوله (للرجال نصيب مما اكتسبوا) الخ
الذي هو علة النهي عن التمني فالمعنى : للرجال مزاياهم وحقوقهم وللنساء مزاياهن
وحقوقهن فمن تمنى ما لم يعد لصفه فقد اعتدى لكن يسأل الله من فضله أن يعطيه ما أعد
لصفه من المزايا ويجعل ثوابه مساويا لثواب الأعمال التي لم تعد لصفه كما قال النبي A
للنساء : " لكن أفضل الجهاد حج مبرور " وإن كان عطفا عن النهي في قوله (ولا تمنوا)
فالمعنى : لا تمنوا ما في يد الغير واسألوا الله من فضله فإن فضل الله يسع الإنعام على الكل
فلا أثر للتمني إلا تعب النفس . وقرأ الجمهور : (وسألوا) " بإثبات الهمزة بعد السين
الساكنة وهي عين الفعل " وقرأه ابن كثير والكسائي " بفتح السين وحذف الهمزة بعد نقل
حركاتها إلى السين الساكن قبلها تخفيفا " .

وقوله (إن الله كان بكل شيء عليما) تذييل مناسب لهذا التكليف لأنه متعلق بعمل النفس لا
يراقب فيه إلا ربه .

(ولكل جعلنا موالى مما ترك الوالدان والأقربون والذين عاقت أيمانكم فآتوهم نصيبهم إن
الله كان على كل شيء شهيدا [33]) الجملة معطوفة على جملة (ولا تمنوا ما فضل الله به
بعضكم على بعض) باعتبار كونه جامعا لمعنى النهي عن الطمع في مال صاحب المال قصد منها
استكمال تبين من لهم حق في المال .

الكلام في جرى فإن المحذوف عن التنوين يعوض أن إليه تضاف ما حذف إذا " كل " وشأن A E
ما يدل على المضاف إليه المحذوف قدر المحذوف من لفظه أو معناه كما تقدم في قوله تعالى
(ولكل وجهة) في سورة البقرة وكذلك هنا فيجوز أن يكون المحذوف مما دل عليه قوله "

قبله " (للرجال نصيب) و (للنساء نصيب) فيقدر : ولكل الرجال والنساء جعلنا موالى أو لكل تارك جعلنا موالى .

ويجوز أن يقدر : ولكل أحد أو شيء جعلنا موالى .

والجعل من قوله (جعلنا) هو الجعل التشريعي أي شرعنا لكل موالى لهم حق في ماله كما في قوله تعالى (فقد جعلنا لوليه سلطانا) .

والموالى جمع مولى وهو محل الولي أي القرب وهو محل مجازي وقرب مجازي والولاء اسم المصدر للولي المجازي .

وفي نظم الآية تقادير جديرة بالاعتبار وجامعة لمعان من التشريع : الأول : ولكل تارك أي تارك ملا جعلنا موالى أي أهل ولاء له أي قرب أي ورقة . ويتعلق (مما ترك) بما في موالى من معنى يلونه أي يرثونه ومن للتبعيض أي يرثون مما ترك وما صدق (ما) الموصولة هو المال والصلة قرينة على كون المراد بالموالى الميراث وكون المضاف إليه " كل " هو الهالك أو التارك (ولكل) متعلق ب (جعلنا) قدم على متعلقة للاهتمام .

وقوله (الوالدان) استئناف بياني بين به المراد من (موالى) ويصلح أن يبين به كل المقدر له مضاف . تقديره : لكل تارك . وتبين كلا اللفظيين سواء في المعنى لأن التارك : والد أو قريب والموالى : والدون أو قرابة . وفي ذكر (الوالدان) غنية عن ذكر الأبناء لتلازمهما فإن كان الوالدان من الورثة فالهالك ولد وإلا فالهالك والد . والتعريف في (الوالدان والأقربون) عوض عن مضاف إليه أي : والداهم وأقربوهم والمضاف إليه المحذوف يدل على الموالى وهذا التقدير يناسب أن يكون ناشئا عن قوله (للرجال نصيب مما أكسبوا) أي ولكل من الصنفين جعلنا موالى يرثونه وهو الجعل الذي في آيات الموارث